المجلس التاسع والعشرون

إخفاء الصدقات وعدم المنّ بها

المجلس التاسع والعشرون

إخفاء الصدقات وعدم المنّ بها

أمر الله ﷻ المؤمنين بالعمل الصالح والتقرّب إليه فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

ورغّب الرسول الكريم ﷺ في أعمال الخير والتقرب إلى الله ﷻ ومن أجلّ ذلك الوقف في سبيل الله ﷻ وبذل الصدقات للمحتاجين من المسلمين، عن أَبي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعين الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ لهُ متَاعَهُ صَدَقَةٌ، والْكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأَذَى عنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(١).

كما جاء الحث القرآني الكريم على إخفاء الصدقات والإسرار بها ما لم يكن في إظهارها مصلحة راجحة كالدلالة على الخير وترغيب الناس فيه قال ﷻ: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٧١].

وجاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(٢)، وتأمل معي كيف أثنى ﷺ على من يخفي الصدقة حتى عن بعض أعضائه، وهذا من لطيف التعبير النبويّ، وفيه إشارة إلى إخفاء العمل الصالح عن أقرب الناس إلى المسلم كالوالدين والزوجة والأولاد،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٧)، مسلم (٧٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، مسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ﵁.

والله المستعان.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على إخفاء أعمالهم الصالحة كالصدقات على الأرامل والأيتام وإليكم هذه القصة لفاروق الأمة رضي الله عنه:

قال أسلم مولى عمر رضي الله عنه: «خرجت مع عمر ليلة من الليالي خارج المدينة، فلاحت لنا نار من بعيد، فقال عمر: يا أسلم! هؤلاء ركب قد قصُر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وإذا الصِّبية على النار يتضاغون حولها، قال لها عمر: ما هذه النار؟ وما هذا القدر؟ قالت: أريد أن أعلل الصِّبية حتى يناموا؛ لأن الجوع والبرد أقلقهم عن النوم فالله بيننا وبين عمر، فبكى عمر رضي الله عنه ورجع من ساعته إلى دار الدقيق، فأخرج عِدلًا فيه دقيق وجِرابًا فيه شحم، فحملهما على ظهره، ثم أعطاها نفقة، والمرأة لا تعرفه» وجاء أنها قالت له: أنت خير من عمر، رضي الله عنه عن عمر[١].

وجاء أنه رضي الله عنه كان يوقد النار للفقراء كذلك ويصنع لهم الطعام بنفسه :

ومن رآه أمام القدر منبطحا ... والنار تأخذ منه وهو يذكيها

وقد تخلل في أثناء لحيته ... منها الدخان وغاب فوه في فيها

رأى هناك أمير المؤمنين على ... حال تروعُ لعَمر الله رائيها

يستقبل النار خوف النار في غده ... والعين من خشية سالت مآقيها[٢]

ولا يزال الخير في أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، فقد أوقف أحد الأثرياء الأخفياء كثيرًا من أمواله في سبيل الله ﷻ ولم يشتهر ذلك عنه ولم يعرف به حتى توفي رضي الله عنه فأظهر الله ﷻ ما كان يخفيه من أعمال صالحة وأوقاف ومساجد بناها في سبيل الله ﷻ، حتى ذكر بعض المهتمين: أنه بنى أكثر من ألف مسجد في أنحاء العالم ولم يُسمَّ منها مسجدٌ

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٢/٨٤ ح:٢١٦)، وعبد الله بن أحمد في الفضائل (١/٢٩٠ ح: ٣٨٢) بسند حسن.

(٢) الأبيات من القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم.

واحدٌ باسمه -غفر الله له وأعظم أجره وجزاه بالحسنى- بل أفاد بعض المقربين منه أنه كان يحذّرهم تحذيرًا شديدًا من إخبار الناس بعمله أو ذكر ذلك في مجلس أو محفل أو صحيفة، فلم يُعلم ذلك عنه إلا بعد وفاته وهذا من إخلاصه وحكمته ﷺ «فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»[١] كما قال ابن مسعود ﷺ.

فأين حال هذا الرجل الصالح من أحوال بعض من يساهمون في أعمال البر ثم يشهرون ذلك ويذيعونه في الملأ بقصد حبّ الشهرة والتباهي والتفاخر؟! والله المستعان.

كما أنه لا بأس بإظهار العمل الصالح إذا كان لمصلحة راجحة كالدلالة على الخير وتشجيع الناس عليه، كما قال ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ...﴾ بل إن ذلك من سنّ السنة الحسنة في الإسلام، عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصّوف فرأى سوء حالهم -قد أصابتهم حاجة- فحثّ الناس على الصّدقة فأبطؤوا عنه حتى رُئي ذلك في وجهه، ثم إن رجلا من الأنصار جاء بِصُرّة من ورِق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عُرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها بعْدَهُ كُتِب لَه مثْلُ أَجْر من عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، ومَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وزر من عَمِلَ بِهَا ولا يَنْقُصُ من أَوْزَارِهِمْ شَيْء»[٢].

ومما ينافي الإخلاص المنُّ والأذى في النفقة فهو من مبطلات الصدقة ومن محقات بركتها قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٣٠)، والطبراني في«الكبير» (١٥٢/٩)، وأبو نعيم في«الحلية» (١٣٦/١) وإسناده صحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٨/١): «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).